



دور أهل البيت في تفسير القرآن الكريم

نویسنده: معرفت، محمد هادی

فلسفه و کلام :: رسالة الثقلين :: تیر 1371 - شماره 1

از 61 تا 70

آدرس ثابت : <http://www.noormags.com/view/fa/articlepage/216453>

دانلود شده توسط : آهو خرس

تاریخ دانلود : 1393/06/01 19:41:36

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه [قوانین و مقررات](#) استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

دور أهل البيت عليهم السلام

في تفسير القرآن الكريم

الشيخ محمد هادي معرفة

العترة الطاهرة ورثة الكتاب وحملة علم الرسول

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.. وقال: ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً..».

حديث متواتر بين الفريقين، قاله خطاباً لجميع أمته عبر العصور.. فقد هداهم إلى معالم الحياة التي إن ساروا على هديها اهتدوا وبلغوا السعادة.. وإن حادوا عنها هبوا وجلبوا لأنفسهم الشقاء.

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى». .
ومعنى عدم افتراق أحدهما عن الآخر: أن الاهتداء بأحدهما وإغفال الآخر، مما لا يمكن لسالك سبيل الرشاد، فلئن كان موضع الكتاب من الدين موضع عرض اصول التشريع.. فإنّ البيان والتفصيل من وظيفة العترة الطاهرة من أهل بيت الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم.
وكما كان موضع النبي من القرآن موضع بلاغ وبيان، فكذلك موضع أهل بيته الطاهرين موضع أداء وإيفاء، إنهم خلفاؤه في أداء رسالة الله في الأرضين، والإيفاء ببيان شريعته في الخافقين. فهم باب علمه ومستودع حكمته والمؤدّون عنه والشهداء على الخلق ليكون الرسول عليهم شهيداً.

قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾: نزلت في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم، ومحمد شاهد علينا...^١

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ طَهَّرَنَا وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ، وَحَجَّتَهُ عَلَى مَنْ فِي أَرْضِهِ، وَجَعَلَنَا مَعَ الْقُرْآنِ، وَجَعَلَ الْقُرْآنَ مَعَنَا، لَا نَفَارِقُهُ وَلَا يَفَارِقُنَا...»^٢. وقال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾: «هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ...»^٣.

قال الإمام الباقر عليه السلام لعمر بن عبيد: «فَإِنَّمَا عَلَى النَّاسِ أَنْ يَقْرَأُوا الْقُرْآنَ كَمَا أَنْزَلَ، فَإِذَا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا يا عمرو»^٤.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «نحن الذين اصطفانا الله. فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء»^٥.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾^٦: كتاب الله الذكر، وأهله آل محمد، الذين أمر الله بسؤالهم، ولم يؤمروا بسؤال الجهال.. وسمى الله القرآن ذكراً فقال: ﴿وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾^٧.

والآية وإن كانت نزلت بشأن أهل الكتاب خطاباً لمشركي العرب، لكن تأويلها عام

(٢) بصائر الدرجات / ٨٣ / رقم ٦.

(١) الكافي / ١ / ١٩٠ والآية من سورة النساء ٤ / ٤٥.

(٣) المصدر: ٤٦ / رقم ١٢. والآية من سورة فاطر: ٣٢ /

(٤) تفسير فترات: ٢٥٨ / رقم ٣٥١.

وعمر بن عبيد هذا من زعماء المعتزلة ومن العلماء الزهاد وهو كثير التردد على أئمة أهل البيت وله منهم مواقف مشرفة. قال حفص بن غياث: ما وصف لي أحد إلا وجدته دون الصفة الأعمرو بن عبيد فوجدته فوق ما وصف لي.. قال: وما لقيت أحداً أزهده منه. مات سنة ١٤٢. (تهذيب التهذيب ٨: ٧٠).

(٦) النحل: ٤٣ والانبيا: ٧.

(٥) بصائر الدرجات / ١١٤ / رقم ٣. والكافي ١ / رقم ٧.

(٧) بصائر الدرجات رقم ١٩. والكافي ١: ٢٩٥ / رقم ٣. وشواهد التنزيل للحسكاني / ٣٢٤ والآية من سورة النحل: ١٦.

شامل^١، ومن أظهر مصاديقها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.
ومن ثمّ لَمَّا سأل عبدة السلماني وعلقمة بن قيس والأسود بن يزيد النخعي، الإمام
أمير المؤمنين عليه السلام من يسألون إذا أشكل عليهم شيء من القرآن؟ قال: «سلوا عن ذلك
آل محمّد...»^٢.

قال الامام الصادق عليه السلام: «أنا أهل بيت لم يزل الله يبعث منا من يعلم كتابه من
أوله الى آخره..»^٣.

وقال الامام ابو جعفر الباقر عليه السلام: «إنّ العلم الذي نزل مع آدم، لم يُرفع، والعلم
يُتوارث. وكان علي عالم هذه الامة.. قال: وانه لم يهلك منا عالم قطّ إلا خلفه من أهله
من علم مثل علمه، او ما شاء الله..»^٤.

وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول
ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث
الحديد»^٥.

أهل البيت عليهم السلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

كان علي عليه السلام وشال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومثله الظاهر المتمثل فيه شخصيته الكريمة..
والذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست
بنبيي..»^٦ يعني انه كان يحمل في طيته ذلك الحس المرهف الذي كان النبي منعماً به، سوى أنه
ليس بنبيي..

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ لعليّ علماً بكتاب الله وسنتي ليس لأحد من
أمتي. يعلم جميع علمي. إنّ الله علّمني علماً لا يعلمه غيري، وأمرني أن أعلمه عليّاً

(١) لأنّ لحن الكلام ارشاد إلى حكم العقل بوجود رجوع الجاهل إلى العالم أبتاً كان إذا كان إنما ينطق عن
صدق وعن علم. ومن ثمّ استند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الآية في قوله: لا ينبغي للعالم ان يسكت
على علمه، ولا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله. (الدر المنثور ٤: ١١٩).

(٢) المصدر ١٩٦ / رقم ٩. (٣) المصدر ١٩٦ / رقم ٦. (٤) الكافي ١: ٢٢٢ / رقم ٢.

(٥) إختيار معرفة الرجال: الكشي ٤: رقم ٥. والكبير: زق أو جلد غليظ ذو حافات ينفع به الحدّاد.

(٦) نهج البلاغة ١: ٣٠١ (صبحي الصالح) الخطبة القاصعة برقم ١٩٢.

فعلتُ... قال: « وإن الله علمه الحكمة وفصل الخطاب... »^١

قال علي عليه السلام: «وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يسأله فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهم.. وكنت أدخل عليه كل يوم دخلةً وكل ليلة دخلةً فيخليني فيها أدور معه حيث دار. وقد علم أصحاب رسول الله أنه لم يكن يصنع ذلك بأحد غيري.. إذا سألته أجبني وإذا سكنتُ أو نعدت مسألتي ابتدأني، فما نزلت عليه آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي، فكتبتها بخطي، ودعا الله أن يفهمني إياها ويحفظني. فما نسيتُ آية من كتاب الله منذ حفظتها. وعلمني تأويلها، فحفظته وأملا علي فكتبته...»

ثم وضع يده علي صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علماً وفهماً وفقهاً وحكماً ونوراً، وأن يعلمني فلا أجهل، وان يحفظني فلا أنسى...^٢

واختلف جماعة في قراءة أي من القرآن فجاء بهم ابن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عنده، فقرأ كل قراءة.. فأسر النبي إلى علي، فقال علي: رسول الله يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم...»

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد...^٣

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحفظ عليه ما نزل من الآيات إذا كان غائباً..

قال سليم بن قيس الهلالي - وقد عدّه النجاشي من الطبقة الأولى من زمرة السلف الصالح -^٤: جلست إلى علي عليه السلام بالكوفة في المسجد والناس حوله، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلمني تأويلها...»

فقال ابن الكوا - وهو عبدالله بن عمرو اليشكري عالم نسابه ومسائله مع أمير المؤمنين معروفة -: فما كان ينزل عليه وأنت غائب؟

(١) في حديث طويل مع ابنته فاطمة الزهراء صلوات الله عليها.. رواه سليم في كتابه: ٧١.

(٢) كتاب سليم: ١٠٦.

(٣) ابن شهر آشوب في المناقب ٢: ٤٢. وتفسير الطبري ١: ١٠. ومستدرک الحاكم ٢: ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٤) توفي مختفياً عن الحجاج حدود سنة ٩٠.

قال: بلى، يحفظ علي ما غبث عنه، فإذا قدمت عليه قال لي: يا علي، أنزل الله بعدك كذا وكذا، فيقرئنيه، وتأويله كذا وكذا فيعلمنيه..!

نعم، لم يكن أحد أمس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علي عليه السلام في سبيل اكتساب المعالي، كما لم يأل النبي جهداً في تربية علي وتعليمه وتهذيبه.. حتى أصبح مستودع علمه وينبوع حكمته.. الأمر الذي كان معروفاً في حياة النبي ومشهوداً للجميع.. ومن ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «علي عيبة علمي».

وهذا العلم الذي علمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد توارثه أولاده الأطيبون الأئمة من أهل بيته..

قال الامام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ نَبِيَّهَ التَّنْزِيلَ وَالتَّأْوِيلَ، فَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَعَلَمْنَا، وَاللَّهُ..».

وهكذا امتد العلم واستمر في ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باقياً لا ينقطع..

شهادات وإفادات

هناك شهادات ضافية من الصحابة، وإفادات وافية من التابعين لهم بإحسان، تُنبئك عن مدى فضيلة هذا البيت الرفيع، ومكانته السامية في افق العلم والمعرفة والكمال، بما جعلهم مراجع الامة في كل أدوار تاريخ الاسلام المجيد.

هذا الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود وهو من أكبر الصحابة قدراً وأجلهم شأنًا، تراه يشهد شهادته العالية برفعة مقام شاخص هذا البيت الامام امير المؤمنين عليه السلام وأنه تتلمذ عليه فيما تلقاه من العلوم والمعارف حتى في حياة الصادق بالرسالة الأمين، صلوات الله عليه.

أخرج أبو جعفر الطوسي في أماليه بإسناده إلى ابن مسعود، قال: قرأت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبعين سورة من القرآن أخذتها من فيه.. وقرأت سائر القرآن على خير هذه الأمة وأقضاهم بعد نبيهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه..

(١) كتاب سليم برواية ابان بن عياش البصري التابعي: ٢١٣ - ٢١٤.

(٢) المولى الفترني في مرآة الانوار: ١٥.

(٣) أمالي الطوسي ٢: ٢١٩. واذكنا نعرف ان السور المكية لا تعدو سنأ وثمانين سورة تعرف مدى سابقة تعلم

وأخرج ابن عساكر في ترجمة الإمام بإسناده إلى عبيدة السلماني، قال: سمعت عبدالله بن مسعود يقول: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه المطايا.. فقال له رجل: فأين انت من علي؟ قال: به بدأت، أني قرأت عليه..^١

وأخرج ابن زاذان عنه قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعين سورة وختمت القرآن على خير الناس بعده. قيل له: من هو؟ قال: علي بن ابي طالب..^٢
وهو القائل: ان القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا له ظهر وبطن، وإن علي بن ابي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن..^٣

وأخرج الحاكم الحسكاني بإسناده إلى علقمة عن عبدالله قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسئل عن علي فقال: قُسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء، وأعطي الناس جزءاً واحداً..^٤
إلى غيرها من شهادات راقية بشأن علّم هذا البيت وشاخصه الرفيع..

وبعد من ألمع الصحابة صفحاً وأشرفهم وجهاً عبدالله بن عباس ترجمان القرآن حبر هذه الأمة وبحرها الزاخر بالعلوم والمعارف، يرى أن كل ما أخذه في تفسير القرآن فهو عن علي بن ابي طالب ليس عن غيره..

وهو القائل: قُسم علم الناس خمسة أجزاء، فكان لعلّي منها أربعة أجزاء، ولسائر الناس جزء، وشاركهم علي في الجزء، فكان أعلم به منهم.. أخرجه ابن عساكر..^٥
أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده إلى ابن عباس، قال: دعا عبدالرحمان بن عوف نفرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحضرت الصلاة، فقدموا علي بن ابي طالب، لأنه كان أقرأهم..^٦

ابن مسعود من علي عليه السلام في وقت مبكر جداً..

(١) تاريخ دمشق - ترجمة الامام ٣: ٢٥ - ٢٦ / رقم ١٤٠٩.

(٢) المصدر: رقم ١٠٥١. وراجع سعد السعود لابن طاروس: ٢٨٥، والبحار ٨٩: ١٠٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر أيضاً. المصدر / رقم ١٠٤٨.

(٤) شواهد التنزيل ١: ١٠٥ / رقم ١٤٦.

(٥) تاريخ دمشق - ترجمة الامام - ٣: ٤٥ - ٤٦.

(٦) شواهد التنزيل ١: ٢٣ / رقم ١٦.

وأخرج ابن طاووس عن طريق النقاش بالاسناد إلى ابن عباس قال: وما علمي وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في علم عليّ إلا كقطرة في سبعة أبحر..^١
ولتقتصر على شهادة هذين العلمين، وهما أعلم الصحابة بعد عليّ عليه السلام، وكفى بشهادتهما لجلاء الحق البصراح.
وشهادات آخر منهما ومن غيرهما يأتي صفوها عند الكلام عن منزلة الإمام لدى الأصحاب..

وأما إفادات التابعين فهي أكثر وأوسع من أن تستوعب، فلنذكر منها نماذج، فما لا يدرك كله لا يترك جله:

أخرج ابن عساكر باسناده إلى مسروق بن الأجدع قال: انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق.. فعالم المدينة عليّ ابن أبي طالب، وعالم الكوفة عبدالله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء..

قال: فإذا التقوا، سأل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة، وهو لم يسألهم..^٢
انظر إلى هذا الوصف الجميل، كيف جعل المرجعية الكبرى في العالم الإسلامي ذلك اليوم، خاصة بزعيم أهل البيت باب مدينة علم النبي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام!
وهو القائل: جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فوجدتهم كالإخاذا - يعني: الغدير من الماء - بالإخاذا يروي الرجل والإخاذا يروي الرجلين والإخاذا يروي العشرة والإخاذا يروي المائة والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم..^٣؟ يعني علياً عليه السلام الذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير..

وأخرج أيضاً بإسناده إلى عبيدة السلماني، قال: صحبت عبدالله بن مسعود سنة، ثم صحبت علياً، فكان فضل ما بينهما في العلم كفضل المهاجر على الأعرابي..^٤
وأخرج عن أبي عبدالرحمان السلمي، قال: ما رأيت أحداً أقرأ لكتاب الله من عليّ بن أبي

(١) سعد السعود: ٢٨٥. (٢) تاريخ دمشق - ترجمة الامام - ٣: ٥١ / رقم ١٠٨٦.

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي ١: ٣٦.

(٤) تاريخ دمشق - ترجمة الامام - ٣: ٤٩ / رقم ١٠٨١.

طالب عليه السلام ..^١ وهو الذي أقرأ عاصماً القراءة التي تلقاها من علي عليه السلام، وأقرأها عاصم حفصاً بالذات، وهي التي درج عليها المسلمون ولا يزالون.
واخرجها ابن الجذري أيضاً عنه، وزاد: وهو من الذين حفظوه أجمع بلا شك عندنا..^٢

ويعجبني هنا أن أنقل وصفين جميلين عن دور أئمة أهل البيت في تفسير القرآن والعلم بتأويله، ذكرهما علمان لامعان من أعلام النقد والتحقيق في عالم الاسلام، هما: ابوالفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٤٦٧ - ٥٤٨) صاحب الملل والنحل.. والآخر: ابن حجر احمد بن محمد الهيثمي (٩٠٩ - ٩٧٤) صاحب الصواعق:
قال الشهرستاني:

«وخص الكتاب بِحَمَلَةٍ من عترته الطاهرة ونَقَلَهُ من أصحابه الزاكية الزاهرة، يتلونه حقّ تلاوته، ويدرسونه حقّ دراسته، فالقرآن تركته، وهم ورثته، وهم أحد الثقلين، وبهم مجمع البحرين، ولهم قاب قوسين، وعندهم علم الكونين.. والعالمون.. وكما كانت الملائكة عليهم السلام معقبات له من بين يديه ومن خلفه تنزيلاً، كذلك كانت الأئمة الهادية، والعلماء الصادقة معقبات له من بين يديه ومن خلفه تفسيراً وتأويلاً. ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾. فتنزّل الذكر بالملائكة المعقبات، وحفظ الذكر بالعلماء الذين يعرفون تنزيله وتأويله، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وعامته وخاصه، ومجمله ومفصله، ومطلقه ومقيده، ونصه وظاهره، وظاهره وباطنه. ويحكمون فيه بحكم الله، من مفروغه ومستأنفه، وتقديره وتكليفه، واورامه وزواجره، وواجباته ومحظوراته، وحلاله وحرامه، وحدوده وأحكامه.. بالحق واليقين، لا بالظنّ والتخمين.. اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب..»

ولقد كانت الصحابة متّقين على أنّ علم القرآن مخصوص بأهل البيت عليهم السلام اذ كانوا يسألون علي بن ابي طالب رضي الله عنه هل خصصتم أهل البيت دوننا بشيء

(١) المصدر ٢٧ / رقم ١٠٥٢. (٢) غاية النهاية ١: ٥٤٦ / رقم ٢٢٣٤.

سوى القرآن؟ فكان يقول: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا بما في قراب سيفي.
قال: «فاستثناء القرآن بالتخصيص، دليل على إجماعهم بأن القرآن وعلمه، تنزيله
وتأويله مخصوص بهم ...

ولقد كان حبر الأمة عبدالله بن عباس رضى الله عنه مصدر تفسير جميع المفسرين،
وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن قال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
تتلمذ لعلي رضى الله عنه حتى فقهه في الدين وعلمه التأويل..

قال: «ولقد كنت على حداثة سني أسمع تفسير القرآن من مشايخي سماعاً مجرداً،
حتى دُفقت فعلقته على أستاذي ناصر السنة أبي القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري
رضي الله عنهم تلقفاً. ثم أطلعتني مطالعات كلمات شريفه عن أهل البيت وأوليائهم
رضي الله عنهم على أسرار دفيئة وأصول متينة في علم القرآن، وناداني من هو في شاطئ
الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة الطيبة: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين﴾ فطلبت الصادقين طلب العاشقين، فوجدت عبداً من عباد
الله الصالحين، كما طلب موسى عليه السلام مع فتاه ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا آتينا
رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾. فتعلمت منه مناهج الخلق والأمر،
ومدارج التضاد والترتيب، ووجهي العموم والخصوص، وحكمي المفروغ
والمستأنف فشبت من هذا المعاء الواحد دون الأمعاء التي هي مآكل الضلال ومداخل
الجَهِال وارتويت من شرب التسليم بكأس كان مزاجه من تسنيم، فاهتديت إلى لسان
القرآن، نظمه وترتيبه وبلاغته وجزالته وفصاحته وبراعته..!»

ويقول عند تفسير قوله تعالى:

«فالقرآن ﴿هدى للناس﴾ عامة، ﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ خاصة،
وهدى وذكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولقومه أخص من الأول والثاني ﴿وإنه لذكر لك
ولقومك﴾

(١) راجع مقدمته في التفسير الذي عنوانه باسم «مفاتيح الاسرار ومصايح الابرار» مخطوط.

وقال ابن حجر -في مقارنة لطيفة بين الكتاب والعترة والسبب في تسميتهما ثقلين- :
«سَمَى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وعترة ثقلين، لأنَّ الثقل كل نفيس خطير
مصون، وهذان كذلك، إذ كلُّ منهما معدن للعلوم الدُّنيَّة، والأسرار والحكم العليَّة، و
الأحكام الشرعيَّة. ولذا حثَّ صلى الله عليه وآله وسلم على الاقتداء والتمسك بهم، والتعلُّم
منهم، وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت..
«وقيل: سَمَيَا ثقلين، لثقل وجوب رعاية حقوقهما..

ثم الذين وقع الحثُّ عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله، اذ هم
الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض. ويؤيِّده الخبر السابق: «ولا تعلّموهم فإنهم اعلم
منكم». وتميَّزوا بذلك عن بقية العلماء، لأنَّ الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً،
وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة.. وقد مرَّ بعضها.. وسيأتي الخبر الذي
في قريش: «وتعلّموا منهم فإنهم أعلم منكم» فإذا ثبت هذا لعموم قريش، فأهل البيت
أولى منهم بذلك، لأنهم امتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركونهم فيها بقية قريش.
«وفي أحاديث الحثِّ على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم
للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك..!.. ولهذا كانوا أماناً لأهل
الأرض -كما يأتي- ويشهد لذلك الخبر السابق: «في كلِّ خَلْفٍ من أُمَّتي عدول من
أهل بيتي...».

ثم أحقُّ من يتمسك به منهم، إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما
قدّمنا من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته.. ومن ثمَّ قال أبو بكر: عليٌّ عترة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم أي الذي كان قد حثَّ على التمسك بهم فخصّه..
«والمراد بالعيبة والكروش -في الخبر السابق- أنهم موضع سرّه وإمانته ومعادن
نفائس معارفه وحضرته...»^١.



(١) في هذا التعبير وهذا التشبيه دقيقة لا تخفى على أهل الدقة والنظرا
(٢) راجع: الصواعق المحرقة، الطبعة الأولى: ٩٠.